**تاريخ الحضارات الإنسانية**

**المحاضرة الرابعة: حضارة مصر القديمة /الحضارة الفرعونية**

تعتبر الحضارة المصرية القديمة من أقدم وأعظم الحضارات في العالم، وقد تركزت على ضفاف نهر النيل، بدأ تأسيسها عام 3150 س ق م حين قام الملك مينا بتوحيد مصر العليا والسفلى مما أسهم في تطورها، وقد بلغت الحضارة المصرية ذروتها في عصر الدولة الحديثة وبالتحديد في عهد رمسيس الثاني، إلى أن سيطر عليها الحكم الروماني في عهد كليوباترا آخر الملكات المصريات، تعاقب على حكم مصر الكثير من الأسر منذ 3000س ق م، ويمكن تقسيم المحطات التاريخية إلى ثلاث مراحل تاريخية وهي:

* عصر الإمبراطورية القديمة والتي كانت عاصمتها ممفيس، تميزت ببناء الأهرامات.
* عصر الدولة الحديثة تميزت بالرخاء والتطور وعاصمتها طيبة.
* عصر الانحطاط مع بداية الهجومات والغزو الخارجي والاحتلال الروماني لمصر.

**عوامل قيام الحضارة المصرية القديمة:** ترتبط نشأة الحضارة المصرية بعدة عوامل أهمها:

* الموقع الجغرافي: تأثرت الحضارات على مرّ العصور بالطبيعة الجغرافية منها مصادر الماء وطبيعة الأرض والموقع الجغرافي، وقد أثر الموقع الجغرافي لمصر على تاريخها القديم ذلك لأنها تقع في الجزء الشمالي الشرقي من قارة إفريقيا وهي حلقة وصل بين القارات الثلاث آسيا أوروبا وإفريقيا، كما تطل على البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر وتربط مصر بفلسطين عبر صحراء سيناء، وقد انقسمت مصر إلى قسمين،مصر العليا ومصر السفلى، وقد ساعد هذا الموقع على العمل بالتجارة من خلال الاستعانة بالسفن من أجل تبادل القمح والأواني المصنوعة من الخزف والعديد من المواد الأخرى كالملابس.
* نهر النيل: يعتبر نهر النيل من أحد أطول الأنهار في العالم، وهو فريد من نوعه لأنه النهر الوحيد الذي يشق الصحراء من اجل أن يصل إلى البحر الأبيض المتوسط، وقد تمحورت حياة مصر القديمة حول هذا النهر، فطور المزارعون طرق الري للتحكم في تدفق الماء مما يتيح للمحاصيل النمو سواء في الفصول الجافة أو الممطرة، وكان واد النيل ينتج الكثير من المحاصيل بسبب خصوبة الأراضي مثل الذرة والعدس والقمح واستخدمت الأموال الناتجة عن بيع المحاصيل في بناء الأهرامات والمعابد وتطوير التجارة.
* المناخ: تتميز مصر بمناخ حار وجاف صيفا وبارد بشكل نسبي في الشتاء وتكون درجات الحرارة في منطقة واد النيل مرتفعة ، كما تكون الأجواء رطبة بسبب وجود البحر الأبيض المتوسط في الجهة الشمالية والبحر الأحمر في الجهة الشرقية وقد ساعد هذا المناخ على الحفاظ على الآثار التاريخية القديمة.

**العلوم والآداب والفنون في الحضارة المصرية القديمة:**

أحرز المصريون القدماء قدرًا مهمًا من المعارف في حقول الفلك والهندسة والرياضيات والطبّ والأدب والفنون، وبعض ما توصّلوا إليه ما زال معتمدًا في يومنا هذا.

**- الرياضيّات والهندسة:** وضع علماء مصر القديمة، ومعظمهم من الكهنة، أسس العلوم عند المصريين الذين بلغوا مراتب متقدّمة في الهندسة والرياضيات كما يتضح من بناء الأهرامات التي تطلّب تصميمها وتشييدها معرفة واسعة في هذين العلمين ، إن الأهرامات التي يبلغ عددها 100 هرم تمثّل أقدم أنصبة مبنيّة بالحجر، والهياكل العديدة، والمسلّات والبوّابات الفخمة، والأعمدة العالية التي تبدو بشكل حزم من قصب البردى، والقبور المحفورة في الصخر، والتماثيل المنحوتة البديعة الصنع، والتصاوير الرائعة الألوان، تعتبر إرثًا حضاريًا خالدًا خلّفته مصر القديمة للعالم. وهذا الإرث يؤكد بلوغ المصريين القدماء مرتبة متقدمة في الهندسة والرياضيات ، حيث بدأ المصريون القدماء بتسجيل ارتفاع منسوب مياه النيل وانخفاضها وحسابهما حسابًا دقيقًا، وكان قياس الأراضي، التي محا الفيضان معالم حدودها، منشأ فن الهندسة، وعرف المصريون القدماء الجمع والطرح والقسمة، إلاّ أنهم استعملوها بطرق تختلف بعض الشيء عن أساليبنا الحالية. وعرفوا أيضًا الأعداد حتى العشرة، ثم مضاعفتها حتى المليون. وكانوا يرسمون علامة المليون على شكل هيئة إنسان يرفع يديه دلالة على الدهشة من الكثرة. وعرفوا أيضًا الكسور وضربها وقسمتها، وتحديد مساحة المربّع والمستطيل والمثلّث، وكانت لديهم وحدات للقياس والوزن والكيل.

**- الطب:** كانت الممارسة الطبية في مصر القديمة متقدمة جدًا لدرجة أن العديد من ملاحظاتهم وسياساتهم وإجراءاتهم الشائعة لم يتم تجاوزها في الغرب لعدة قرون بعد سقوط روما، لقد أدركوا أنه يمكن معالجة المرض عن طريق المستحضرات الصيدلانية ، وفهموا أهمية النظافة في علاج المرض. كان يمكن للأطباء في مصر القديمة أن يكونوا من الذكور أو الإناث وقد عادت فكره أن للنساء دور في مهنة الطب إلى عصر الأسرة المبكرة عندما كانت ( ميريت بتاح) كبيرة الأطباء في البلاط الملك 2700 ق م، وهي أول طبيبة معروفة بالاسم في تاريخ العالم، وتثبت البرديات الطبية التي وصلتنا درجة التطور في مجال علاج الأمراض، تحتوي بردية "إيبرس" مثلا على 87 وصفة طبية لمعالجة أمراض الجلد والقلب والشرايين والمعدة والعيون، وأمراض النساء، كما تحتوي بردية "أدوين" على معلومات على العمليات الجراحية وإصابات الجروح، وتعرض 48 حالة تبدأ بالتعريف بالإصابة ثم وصف الأعراض ثم إعطاء الرأي الطبي وطريقة العلاج، إلى جانب مجموعة من البرديات الطبية البيطرية لعلاج عيون العجول والكلاب وأسنانها.،

- **الآداب:** يتألف الأدب المصري القديم من مجموعة واسعة من الأشكال السردية والشعرية ، بما في ذلك النقوش على المقابر والنصب والمسلات والمعابد وكذلك  الأساطير والقصص والكتابات الدينية والأعمال الفلسفية. كُتب معظم الأدب المصري بالهيروغليفية حيث تم استخدام الكتابة الهيروغليفية على المعالم الأثرية مثل المقابر والمسلات والنصب والمعابد و مخطوطات البردي والأواني الخزفية، وقد ظلت الكتابة الهيروغليفية مستخدمة طوال تاريخ مصر للهياكل الأثرية حتى تم نسيانها خلال الفترة القبطية. وقد أكدت الآثار أن المصريين القدماء استخدموا الحبر الأسود والأحمر في نقوشهم واستخدموا أوراق البردي في كتاباتهم التي كان أكثرها في الأدب الديني الذي يوضح العقائد والنظريات الدينية في الحياة الأخرى، إلى جانب الأساطير والقصص والروايات التي وثقت الكثير عن حياتهم الاجتماعية إلى جانب رسائل أدبية وحكم مدونة على البرديات.

**الفلك:** وضعوا نظام **ا**لأبراج- نظام تقويم خاص بهم واكتشفوا الدوائر الحجرية التي استخدمت في التنبؤ بحدوث الفياضاتات.

- **الدين:** ارتبط نظام الحكم في مصر القديمة بالمعتقدات الدينية التي كانت لها أهمية كبيرة في استقرار نظام الحكم وانتشار الأمن والأمان، وقد كان تقديسهم للحاكم دورا مهما في استقرار الأمن حيث كان الفرعون هو الآمر والناهي في الأمور الدينية والدنيوية، كما كان الشعب المصري يعتقد أن هناك قوة ترمز إلى الرب تتمثل في الطير والحيوان والحجر فاتجهوا إلى تقديس هذه المخلوقات وعبادتها، كما آمنوا بالسحر والشعوذة ، وقد اشتهر الفراعنة بتقديسهم لآلهتهم وتصويرهم لها في الرسومات والكتابات الهيروغليفية ، وكان لكل اله مهمة معينه ومنهم:

* بتاح Ptah:في الدين المصري ، إله الخالق وصانع الأشياء ، راعي الحرفيين ، وخاصة النحاتين. كان بتاح في الأصل الإله المحلي لممفيس ، عاصمة مصر منذ الأسرة الأولى وما بعدها.
* **آمون Amun:** أيضًا عمون ، آمين هو إله الشمس. وهو واحد من أهم آلهة مصر القديمة التي برزت في طيبة في بداية فترة المملكة القديمة حوالي 1570-1069 قبل الميلاد. يرمز إلى الخصوبة . اسمه يعني "المخفي" ، "غير المرئي" ، "غامض الشكل" ، وخلافا لمعظم الآلهة المصرية الأخرى ، كان يعتبر رب الجميع الذي شمل كل جانب من جوانب الخلق.
* **حوروس Horus**:حورس هو اسم إله السماء والإله الحامي لملوك مصر في الحروب  في الأساطير المصرية القديمة ، وفقا لكلام المؤرخين  "حورس هو أهم آلهة الطيور الذي اتخذ أشكالا عديدة وصور بأشكال عديدة في النقوش المختلفة.

**-الموسيقى**: اهتم المصريون القدماء بالموسيقى، وكانوا يستخدمون الترانيم الموسيقية في صلواتهم على الموتى، كما عرفوا آلات النفخ والوتريات وطوّروا الكثير منها.

**- صناعة الحلي والمجوهرات والحلي**: تفنن المصريون في صناعة الحلي والمجوهرات معتمدين على مواد أولية مثل نبات البردي والنخيل والأحجار الكريمة ، وتفننوا أيضا في صناعة العطور باستخدام عصير الزهور وزهرة اللوتس واستخدموا تقنيات عالية في الرسم على الزجاج خاصة على قارورات العطور.

**-الرسم والنقش والنحت:** تفنن المصريون في النقش والرسم على الجداريات والمسلات والمقابر حيث اعتقدوا بأن الحياة تستمر بعد الموت فتفننوا في زخرفة المقابر ليتمتع الميت بالرفاهية بعد الموت، كما برعوا في نحت التماثيل المحفورة من الصخر مع طلائها بالمعادن، وأبدعوا في الرسومات على جدران المعابد والمنازل والتصاميم الهندسية المختلفة.

**مظاهر الحضارة الفرعونية وأهم انجازاتها**:

* **الأهرامات وتمثال أبو الهول**: يعرف الهرم على أنه مدفن ملكي يتم بناؤه على هيئة جبل من الحجر الجيري المنحوت قاعدته مربعة، وكان يستغرق بناء الأهرامات أعوام طويلة تصل إلى 30 عاما، والآلاف من العمال والعبيد الذين يعملون بظروف سيئة جدا، ويتكون الهرم من مدخل رئيسي ومجموعة من الممرات التي تؤدي إلى غرف الدفن، أين يضعون الكنوز والزينة التي يحتاجها الفرعون لينعم في حياة الآخرة، وقد برع المصريون في فن العمارة وهندسة البناء حيث استطاعوا أن يبنوا الأهرامات بطريق هندسية رائعة لا تزال أسرار بنائها تحير العلماء، بالرغم من التطور اعلمي والتكنولوجي، وكان أول هرم بني في مصر هو هرم "زوسر" وتلاه هرم "ميدوم" ، ويعتبر هرم "خوفو" في الجيزة من أكبر الأهرامات.
* **حجر رشيد**: اكتشف عام 1799م، (موجود حاليا في المتحف البريطاني) لولاه لما استطاع علماء الآثار قراءة مدونات المصريين القدامى ولبقيت الحضارة المصرية مجهولة، احتوى الحجر على نصوص كتبت بثلاثة خطوط مختلفة: الهيروغليفية والديموطيقية واليونانية، تمكن العالم الفرنسي " جان فرانسوا شامبليون- jean francois champollion " سنة 1822 من فك رموز اللغة المصرية التي كتبت بها، بعد أن تحصل على نسخة من الحجر، يحتوي الحجر على نصوص تمجد فرعون مصر وتذكر بعض من انجازات الكهنة في ذلك الوقت.
* **الكتابة الهيروغليفية**: هيروغليفية كلمة يونانية مركبة من هيروس (مقدس) وغليفو (خط) أي الخط المقدس، وتتكون من 24 حرفا، كانت رموزا ثم أشكالا ثم حروفا، استعملت كنمط كتابة لتسجيل الأحداث على المعالم والنصوص الدينية على جدران المعابد والمقابر وأسطح التماثيل والألواح الخشبية الملونة، نشأت منها الهيراطيقية حين قاموا بتبسيطها في مرحلة زمنية ، وتعرضت لتبسيط آخر في مرحلة تالية وتمثلت في الديموطيقية أو الخط الديموطيقي، وهو ما يعني أن هناك علاقة خطية واضحة بين الخطوط الثلاثة.
* **فن التحنيط:** ارتبط تحنيط الموتى بفكرة الخلود التي آمن بها المصريون، الهدف منه هو الحفاظ على الجثة باستعمال مواد كيميائية ليبقى جسم الميت (الإنسان أو الحيوان) محافظا على مظهره ويبدو كأنه حي، يعتمد على تجفيف الجسم(الجثة) تماما ومنع البكتيريا من الوصول إليها وذلك بسد مسامه بمادة عازلة لكي لا تدخل الرطوبة التي تسبب التعفن، ثم استخراج المخ والأحشاء ماعدا القلب(مركز الروح في نظرهم) لأنها مواد رخوة تتعفن بالبكتيريا، ثم يملأ تجويف البطن بلفائف الكتان المشبعة بالعطور وبمحلول النطرون(من أهم مواد التطهير عند القدماء)، ثم تلف المومياء بأربطة كتانية كثيرة قد تبلغ 100متر مدهونة وملونة بأكسيد الحديد الأحمر وبينها شمع العسل. ونظرا لبراعة المصريين في هذا المجال لأهمية أصبح علم التحنيط يدرس في جامعة أوكسفورد في بريطانيا وكليات الصيدلة في جامعة مصر.